مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 14، العدد 56 (خريف 2003)، ص 133

تقارير

طلال عوكل*

واقع ومستقبل
الثقافة الوطنية الفلسطينية

تحت عنوان "رؤى وآفاق"، أقيمت في مدينة غزة يوم 21 أيلول/سبتمبر 2003، بمبادرة من وزارة الثقافة الفلسطينية، ورشة عمل نوقشت فيها حالة الثقافة الفلسطينية في الماضي والحاضر، وما يمكن فعله لتطويرها وإغنائها. وقد تناول النقاش أربعة محاور هي: الحالة الثقافية قبل قيام السلطة الوطنية وبعده؛ الثقافة الفلسطينية في الداخل والشتات ووراء الخط الأخضر؛ التشريعات القانونية المتصلة بالثقافة وصندوق التنمية الثقافية؛ المهمات والتحديات الراهنة أمام الثقافة الوطنية.

افتتح ورشة العمل د. زياد أبو عمرو (وزير الثقافة في حكومة محمود عباس المستقيلة)، وشارك في النقاش كل من: أحمد دحبور (شاعر، ومدير عام في وزارة الثقافة الفلسطينية)؛ رجب أبو سرية (صحافي وقاصّ)؛ عبد الله تايه (كاتب، وقائم بأعمال رئيس اتحاد الكتّاب الفلسطينيين)؛ د. نبيل أبو علي (أستاذ في الجامعة الإسلامية في غزة، متخصص بالنقد الأدبي)؛ د. نادية العطار (مديرة في وزارة الثقافة الفلسطينية، متخصصة بالأدب العربي)؛ عبد القادر فارس (كاتب وباحث)؛ غريب عسقلاني (روائي).

قدم أحمد دحبور، في مداخلته الرئيسية، تلخيصاً مكثفاً للمشهد الثقافي الفلسطيني في القرن العشرين، حرص في مستهله على تأكيد أمرين: الأول أن من الصعب تشخيص أو دراسة الحالة الثقافية في أية رقعة من فلسطين، وفي أي وقت، بمعزل عن المجرى والمساق العام للحركة الوطنية الفلسطينية التي تكونت وتطورت الحالة الثقافية في إطارها؛ الثاني أن من العبث البحث عن مقدمات المشروع الثقافي في فترة ما قبل القرن العشرين لأن الحدود والقضايا والأنظمة في الأقاليم العربية كانت وقتئذ متشابكة إلى حد يصعب معه فرز النتاج الثقافي في أية رقعة منها عن سواه في بقيّتها. وأضاف أن من الضروري حسم المسلّمة التالية منذ البداية وبصورة نهائية: نحن عرب لا لأننا نرغب في ذلك فحسب، بل أيضاً لأننا فعلاً كذلك، وإثارة موضوع المشروع الثقافي الفلسطيني ليست إلاّ لتسهيل الدراسة والتصنيف من جهة،

(*) صحافي فلسطيني مقيم بغزة.

ولتبيان الخصوصية التي نجمت عن تطورات سياسية وتاريخية من جهة أُخرى.

وقال دحبور، في تلخيصه المشهد الثقافي الفلسطيني في مرحلة ما قبل نكبة 1948، إن من الطبيعي أن تنعكس ملامح الثقافة الفلسطينية من خلال الشعر، حيث تميز إبراهيم طوقان، وعبد الكريم الكرمي (أبو سلمى)، ومطلق عبد الخالق، وحسن البحيري، وعبد الرحيم محمود. وأضاف أن هذه الكوكبة من الشعراء لم تكن نبتاً برياً وإنما هي جزء من حالة ثقافية مؤثرة، وأن شعرها أخذ مسارين متكاملين: الأول كان ذاتياً جمالياً، والثاني كان ملتزماً قضايا الوطن والأمة.

ومضى دحبور في رصد معالم المشهد الثقافي في تلك المرحلة، فقال إن روحي الخالدي كتب في النقد المقارن، ونجيب نصار ألّف بعض الروايات، وتميز الفلسطيني جمال الحسيني بروايتيه "على سكة الحجاز" و"ثريا"، والدكتور إسحق الحسيني بروايته "مذكرات دجاجة"، التي قدم لها د. طه حسين. وظهر كتّاب قصة قصيرة من أمثال محمود سيف الدين الإيراني وخليل بيدس وعارف العزوني وأمين فارس ملحس، وغيرهم.

وفي مجال الترجمة برز نجاتي صدقي وخليل بيدس. وتميز المعلم خليل السكاكيني بكتبه التربوية واللغوية التي أثرت في أجيال متعاقبة، وتصدى إسعاف النشاشيبي لقضايا فكرية شائكة كعلاقة الشرق بالغرب.

وتحدث دحبور عن نهضة صحافية كبرى عرفتها فلسطين، وعن فرصة فاتتها كي تكون مهد السينما العربية، فقال: عندما جاء الأخوان الفلسطينيان المغتربان إبراهيم وبدر لاما لتأسيس فن سينمائي، عرجا على مصر حيث باشرا مشروعهما. وكان من حقهما أن يسجل المؤرخ الفرنسي جورج سادول لهما بأنهما طليعة مؤسسي السينما العربية، فقد كان فيلمهما "قبلة الصحراء"، سنة 1927، أول فيلم من إنتاج عربي يشهده الجمهور في الإسكندرية، بينما كان فيلم "ليلى" للمصرية عزيزة أمير أول فيلم عربي يشاهده جمهور القاهرة.

أمّا رجب أبو سرية فلاحظ، في حديثه عن المرحلة نفسها، أنه إذا كان الفعل السياسي خلالها تميز بالارتجال والانفعال وعدم التكافؤ على مستوى الهجمة الاحتلالية فإن ثقافة المقاومة، التي برزت أساساً في النتاج الشعري، تميزت بالانفعال وبالأداء الفردي خارج سياق برنامج وطني محدد المعالم والأهداف.

بعد نكبة 1948 حل واقع جديد في حياة الشعب الفلسطيني، وبرزت كلمات من نوع الشتات واللاجئين والمهاجرين. أمّا الأمر الأخطر، بالنسبة إلى دحبور، فكان فقدان الحاضنة الوطنية، أو البيت المعنوي المعبر عن السيادة الوطنية، إلى أن أقرت القمة العربية الأولى في سنة 1964 مبدأ إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية.

وفي تشخيص واقع الثقافة بعد النكبة، قال دحبور إن الشعر واصل دوره فكتب يوسف الخطيب وكمال ناصر وهارون هاشم رشيد القصيدة الحديثة إلى جانب القصيدة الكلاسيكية، والتزم معين بسيسو وعصام حماد وخليل زقطان الواقعية الاشتراكية، وأمكن رصد تيار رومانسي مثلته فدوى طوقان وسلمى الخضراء الجيوسي وعبد الرحيم عمر وغيرهم، وواصل البحيري وأبو سلمى نشيدهما الكلاسيكي، وحقق توفيق صايغ وجبرا إبراهيم جبرا نقلة نوعية في الشعر. وظهرت القصة القصيرة وتألقت على أيدي سميرة عزام وغسان كنفاني وجبرا، وظهرت الرواية بأبهى أشكالها لدى جبرا وكنفاني، وأصبح لدينا نقاد كبار من أمثال إحسان عباس ومحمد يوسف نجم وجبرا، وفنانون تشكيليون بارزون من أمثال إسماعيل شموط ومصطفى الحلاج وجمال بدران وغيرهم.

من جهة ثانية – تابع دحبور – برز لدى الفلسطينيين ميل جاد إلى البحث والدراسة في مختلف أشكال الاختصاص. فهناك مثلاً المؤرخ عارف العارف، والموسوعي الجغرافي مصطفى مراد الدباغ، والمفكر السياسي الاجتماعي فايز صايغ وشقيقه الاقتصادي يوسف صايغ، وصولاً إلى المفكرين الفلسطينيين ذوي الوزن العالمي من أمثال إدوارد سعيد وإبراهيم أبو لغد وهشام شرابي وغيرهم.

ولاحظ دحبور أن الشتات منح الكاتب الفلسطيني قدرة على التعدد والمعرفة بالأقطار العربية، وهيأ لظهور جيل روائي شاب مثل يحيى يخلف في روايته "نجران تحت الصفر"، وجمال جنيد في "الأخدود"، وإبراهيم نصر الله في "براري الحمى"، بينما قدم أحمد قبلاوي وأكرم شريم دمشق القديمة من خلال أعمالهما التلفزيونية والمسرحية الرائدة.

مرحلة ما بعد
قيام منظمة التحرير

أصبح للمشروع الثقافي الفلسطيني مهمات جديدة بعد ظهور منظمة التحرير الفلسطينية سنة 1964، التي يقوم وجودها مقام الدولة ويتطلب إيجاد المؤسسات. على أن هذه المرحلة تميزت بغلبة الاهتمام السياسي، كما قال دحبور. ونشطت خلالها الاتحادات الثقافية للكتّاب والفنانين والصحافيين، وتم إنشاء صروح ثقافية وفكرية مثل مركز التخطيط، ومؤسسة الدراسات الفلسطينية، ومركز الأبحاث الفلسطيني الذي قدم خدمة نوعية للمكتبة العربية في التعريف بمؤسسات الكيان الصهيوني وفكره، كما تم تأسيس المجلس الأعلى للثقافة والتربية والعلوم، وأنشأت الفصائل مراكز ومؤسسات صحافية وفكرية خاصة بها. وازدهرت السينما التسجيلية، ونجحت المنظمة في إنتاج ثلاثة مسلسلات درامية تلفزيونية، وقامت دائرة الثقافة في المنظمة

بإنتاج فيلم روائي قصير، بينما أنتجت الجبهة الشعبية أول فيلم روائي طويل هو "عائد إلى حيفا"، المأخوذ عن رواية غسان كنفاني.

ومرة أُخرى كان للجهد الذاتي دوره البارز، وتم إنتاج عدد من الأفلام أخرجها ميشيل خليفي ورشيد مشهراوي وعلي نصار وإيليا سليمان وحنا الياس وغيرهم، ونشطت السجالات الفكرية.

على المستوى الإبداعي، كان طبيعياً أن تتطور تجارب الشعراء والأدباء، وأن تقدم ممارسة الكفاح المسلح نكهة جديدة في الأداء الثقافي، وأدى ظهور ما يسمى شعراء الأرض المحتلة – محمود درويش وسميح القاسم وحنا أبو حنا وتوفيق زياد وراشد حسين وغيرهم – دوراً مهماً في إعلاء مكانة الشعر الحديث في الوطن العربي. وعلى مستوى آخر، ظهرت كوكبة من الشعراء الشباب الذين عاشوا في المخيمات ورافقوا الثورة. وبحسب دحبور تميز الصوتان الفلسطينيان: الداخلي بالتحدي والتمسك بالأرض، والمنفى بتمجيد الثورة والشكوى جرّاء الخذلان العربي. وظهر كتّاب قصة قصيرة سرعان ما توجهوا إلى كتابة الرواية. وتميز المشهد الفلسطيني أيضاً بالكتّاب الموسوعيين أو المهتمين بغير جنس من الأجناس الأدبية. غير أن التركيز ظل، كما في السابق، منصباً على النتاج الفردي من شعر ورواية وقصة ونقد، بينما النتاج الذي يتطلب تنفيذ الجماعة لم يتقدم كثيراً.

واعتبر رجب أبو سرية أن قيام منظمة التحرير الفلسطينية شكل عاملاً أساسياً في حسم أهم الأسئلة الثقافية التي كانت تتمحور حول علاقة القطري بالقومي، ومالت الكفة إلى مصلحة تأكيد الهوية الوطنية.

المشهد الثقافي في الأرض المحتلة، 1967 – 1994

قدم الكاتب والقائم بأعمال رئيس اتحاد الكتّاب الفلسطينيين عبد الله تايه، في مداخلته، عرضاً بانورامياً للمشهد الثقافي الفلسطيني داخل فلسطين منذ سنة 1967. فتحدث عن صعوبة الأوضاع التي نشأت وأدت، بسبب الاحتلال، إلى محاصرة الأراضي الفلسطينية وعزلها عن محيطها العربي والإسلامي، وإلى توقف الصحف والدوريات الأدبية، وحرمان الفلسطينيين من التنقل والتواصل مع أشقائهم، وتوقف وصول الصحف والدوريات المصرية والأردنية، وهو ما شكل انقطاعاً يكاد يكون تاماً عن المصادر العربية.

نشأ جيل جديد من الكتّاب الفلسطينيين في أواسط السبعينات من دون تواصل مع الجيل السابق للكتّاب الذين أُرغموا على المغادرة، ومع الكتّاب العرب نتيجة ظروف

الاحتلال، الأمر الذي دفع بالكتّاب إلى اعتماد التثقيف الذاتي عبر الحوار والندوات والأنشطة الثقافية، وإلى التواصل مع الكتّاب الفلسطينيين داخل الخط الأخضر أمثال توفيق زياد، وإميل حبيبي، وسميح القاسم، ومحمد علي طه، وزكي درويش، وغيرهم.

وعلى الرغم من الإجراءات الاحتلالية التي أدت إلى وقف الصحف والمطبوعات، ومنع التجمعات والندوات والطباعة والنشر، بهدف تقويض الثقافة الوطنية والحد من الحريات، فإن كل ذلك لم يمنع نهوض الحركة الثقافية، بل ربما ساهم في تعميق طابعها المقاوم.

ولاحقاً نشطت دور الطباعة في القدس، وعادت المنشورات إلى الظهور، مثل صحيفة "القدس" و"الفجر" و"الشعب" و"الطليعة" ومجلة "البيادر الأدبي"، ونشطت الحركة الثقافية بعد تأسيس عدد من الجامعات الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، وعادت المطبوعات المصرية والأردنية إلى الظهور داخل الأراضي المحتلة.

خلال هذه الفترة تحمل الكتّاب أعباء إصدار كتبهم ونتاجهم وإبداعاتهم الثقافية، وأخذوا يرصدون معاناة شعبهم ويسجلون نضالاته.

واعتبر تايه أن ما صدر من نتاج ثقافي كان تعلماً ذاتياً واجتهاداً فوق العادة لتحسين قدرات الكتّاب وتطوير أدواتهم الإبداعية، أكثر مما هو استكمال فني لنتاج الأجيال السابقة، فقد تناولوا الموضوعات الوطنية، التي تؤكد معاني الأمل والمقاومة عبر أشكال فنية متطورة من الأجناس الأدبية.

ففي مجال القصة القصيرة، ظهر الكتّاب غريب عسقلاني، وزكي العيلة، وعبد الله تايه، وجمال بنورة، وسامي الكيلاني، وعزت الغزاوي.

وفي مجال الفن التشكيلي، ظهر فنانون أعطوا الحركة التشكيلية كل اهتمام أمثال كامل المغني، وفتحي غبن، وسليمان منصور، وإسماعيل عاشور، وعصام حلس.

ونشط المسرح على الرغم من ندرة المسارح وانعدام فرص العرض خارج الوطن، فضلاً عن شح الإمكانات المالية، فظهرت في غزة فرقة كنعان والجنوب وحناظل والشموع. وفي الضفة ظهرت فرقة سنابل والقصبة والحكواتي، وتم عرض كثير من المسرحيات منها: إبريق الزيت، وحنظلة في خطر، والأستاذ خصوصي، وكفر شيما، والاستثناء والقاعدة.

وظهر ممثلون ومخرجون أمثال أحمد أبو سلعوم، وعلي أبو ياسين، وجورج إبراهيم، وسعيد البيطار، وسعيد عيد، وحسام أبو عيشة، وغيرهم.

تميز الأدب الفلسطيني، خلال هذه الفترة، ببعده المقاوم، وبالصراخ السياسي والشعارات، والترويج للأحزاب، والألفاظ الفجة، والمظاهر الخارجية للثورة والشخوص والاحتلال. غير أن تطوراً حدث، في أوائل الثمانينات، في أشكال التعبير وجمالياته

الفنية، حيث شغلت النظرة الإنسانية، ومناقشة المضمون برؤى أعمق وأشمل، حيزاً واضحاً من الاهتمام بما تراكم من كتابات في القصة والشعر والرواية.

وقد شكل قيام اتحاد الكتّاب الفلسطينيين تحت الاحتلال دوراً رائداً ومبادراً في نشر إبداعات الكتّاب، وتأطير الأنشطة الثقافية، والتشجيع على الإبداع، وتعميق الحركة الثقافية الديمقراطية.

تحدث عبد الله تايه عن الفترة الواقعة بين حصار بيروت سنة 1982 واندلاع الانتفاضة الشعبية الفلسطينية الكبرى سنة 1987، فقال:

سادت فترة صمت عميق وتأمل اجتاحت الحركة الأدبية والفنية، عزف فيها الكتّاب في معظمهم عن نشر أعمالهم، وتوقف البعض عن الكتابة، وصارت الأحوال أكثر سوءاً بملاحقة الاحتلال للكتّاب، واعتقالهم، ومصادرة أعمالهم، ومنعهم من السفر، وطردهم من وظائفهم، وتحديد إقامة عدد منهم، ومنع الندوات والمعارض الفنية.

وعن هذه الفترة قال أبو سرية: بقدر ما كان المشروع الثقافي يندمج وطنياً في المشروع السياسي التحرري، كان يتأثر بمحطات الإشكالية اللاحقة. ولعل أهم لحظتين ظهرتا في هذا السياق هما: محطة الانشقاق الذي وقع في حركة "فتح" سنة 1983، والأزمة التي وقعت داخل منظمة التحرير وأدت إلى تشكيل اتحادين للكتّاب والصحافيين في كل من دمشق وصنعاء؛ ولاحقاً محطة أوسلو التي شوشت المعالم العامة للمشروع الثقافي حين لم تعد منظمة التحرير الفلسطينية ذاتها الإطار الذي يجمع كل التوجهات الثقافية مع ظهور قوى إسلامية حملت معها بالضرورة مشروعاً ثقافياً خاصاً بها.

وقد شكل اندلاع الانتفاضة الكبرى بداية مرحلة استمرت حتى قيام السلطة الوطنية الفلسطينية سنة 1994، إذ أدت إلى تفجير الطاقات الإبداعية والفنية والثقافية عامة.

وقال تايه: خلال هذه المرحلة ظهرت مجموعات من القصص والروايات والدواوين الشعرية، وأقيمت المعارض الفنية والعروض المسرحية، وظهرت الأغنية الوطنية، وتناغم الكتّاب والمثقفون والفنانون والمسرحيون مع حركة الشعب ونضالاته، ودفع المثقفون ثمن هذه المواجهة الكبرى مع الاحتلال، فتعرضوا للاعتقال وفرض الإقامة الجبرية والمنع من السفر والطرد من الوظائف، لكن ذلك لم يمنعهم من المواصلة، والتواصل مع شعبهم.

الحالة الثقافية بعد قيام السلطة الوطنية الفلسطينية سنة 1994

اختلف المشاركون في تقويم واقع الحركة الثقافية خلال هذه المرحلة، سواء من حيث مكوناتها، أو من حيث أبعادها ومضامينها والعوامل المؤثرة فيها.

الناقد نبيل أبو علي عقد مقارنة موجعة فقال: إن المساحة التي كانت متاحة للمثقف تحت الاحتلال تفوق المساحة من الحرية المتاحة له في الأوضاع الجديدة. وأضاف: لم يكن يمضي أسبوع من دون أن نشاهد عرضاً مسرحياً لواحدة من فرق الهواة؛ كان لدينا كثير من المنابر، وكانت تجمع الناس بأعداد كبيرة. وتساءل: أين هي رعاية المثقفين، ولماذا لم تنجح مثلاً صناعة السينما في حفظ الذاكرة وتسجيلها؟

وتحدث أبو سرية عن افتقاد المثقف لبوصلة المشروع الثقافي الوطني، وعدم تصدي النخبة الثقافية لعملية المراجعة الواجبة. وتابع يقول إنه بسبب أوسلو ارتبكت الثقافة الوطنية، الأمر الذي فتح الباب لاتجاهات ثقافية متباينة لعل أهمها ظهور ثقافة سلطوية تبريرية كرست تبعية الثقافي للإداري المسؤول، وحولت المثقف من مبدع إلى موظف مرتزق، يفتقر إلى روح الثورة والنقد السياسي والمجتمعي في إطار المقاومة والمواجهة. واستطرد أبو سرية قائلاً إنه يوجد تعميم للثقافة الغيبية، وانكفاء في تفاعل الاجتهادات الذاتية مع الأسئلة العامة الأساسية. وزاد في الطنبور نغمة ظهور أدوات التقنية الحديثة، التي عززت ثقافة الصورة، بما هي ثقافة مختلفة عن الثقافة المكتوبة، الذهنية والتخيلية الفلسطينية المتحققة، الأمر الذي ضاعف تعقيد الواقع الثقافي الفلسطيني.

الشاعر أحمد دحبور فضّل المضي في عرض المشهد البانورامي، فتحدث عن بعض ما تقوم به وزارة الثقافة ومؤسسات المجتمع المدني، لكنه عاد فاتهم المؤسسة السياسية بالتراخي في تلبية المطالب الثقافية، وقال إن المشروع الثقافي لا يزال مطلباً ملحاً. وتساءل: من يصدق مثلاً أنه لا توجد صالة سينما واحدة في مدينة غزة، وأنه لا توجد مطبعة خاصة بوزارة الثقافة، ولا توجد قاعة معارض ولا مسرح ولا متحف وطني؟

نادية العطار ركزت على ضرورة الاهتمام بخصوصية الثقافة الفلسطينية على الرغم من أنها تشكل جزءاً لا يتجزأ من الثقافة العربية عامة. وهي تعتقد أن خصوصية الثقافة الفلسطينية تنبع من كونها عاشت عقوداً طويلة من الصراع الدامي والمعاناة، ونهلت من منابع ثقافية متعددة، سواء في الشتات أو في علاقات الجوار. وأشارت العطار إلى تأثير شبح الموت الذي يتهدد يومياً الكيان الفلسطيني، ومشاهد العنف

والدم، ومعاناة المخيم من فقر وبؤس ويأس من إمكان الخلاص، ناهيك عن الغزو الثقافي عبر الإنترنت، في بناء الشخصية الفلسطينية ورؤيتها للحياة وتعاملها مع منظومة القيم الاجتماعية العربية السائدة.

الكاتب غريب عسقلاني طرح سؤالاً إشكالياً لم نسمع عنه إجابات من ورشة وزارة الثقافة، الأمر الذي يستدعي معالجته لاحقاً.

تساءل عسقلاني: لماذا حمل اليسار لواء ومهمات الحالة الثقافية في العقود الأولى بعد النكبة، مع حضور محدود للفكر القومي في ذلك الوقت، ولماذا حدث هذا التوسع الكبير للفكر الديني وبعض التيارات السلفية، وخصوصاً بعد الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى)؟

وفضّل عبد الله تايه أن يشخص الأمر على طريقته وبأسلوب غير مباشر، فقال: جاء اتفاق أوسلو، وكان للكتّاب والمثقفين والفنانين آراء متباينة تراوحت بين التأييد والمعارضة، التحفظ والقبول، وبرزت أسئلة حقيقية في شأن القضايا الأساسية: الدولة، القدس، الحدود، اللاجئين، العودة. وعزز وطأة هذه الأسئلة ملاحظة الكتّاب لما كان يجري في الواقع من تملص إسرائيل من التزام تنفيذ الحد الأدنى مما وافق عليه الفلسطينيون.

ولاحظ تايه صمت الكتّاب في الأعوام الأولى التي عقبت اتفاق أوسلو وعزوفهم عن التطرق إلى المرحلة الجديدة، والتفاتهم إلى التاريخ، وخصوصاً إلى الكتابة عن مدنهم وقراهم التي هُجِّروا منها سنة 1948. وحتى الكتّاب الذين ولدوا بعد النكبة راحوا هم أيضاً يكتبون ويوثقون روايات النكبة، فكتب غريب عسقلاني "جفاف الحلق"، وزيد أبو العلا "الخروج من وادي السلامة"، وعبد الله تايه "قمر في بيت دراس"، وكتب خضر محجز عن "الجية"، وعاطف أبو سيف عن "يافا"، وعثمان خالد عن "الجورة"، وزكي العيلة عن "يبنا"، وغيرهم.

وقد أرجع تايه العزوف عن تناول المرحلة الجديدة بعد أوسلو إلى عدة أسباب، ذكر منها: عدم تبلور التجربة، ورغبة الكتّاب في الملاحظة والتأمل، وعدم ثبات النماذج، وبداية تشكل مجتمع جديد، وتعدد الآراء في الاتفاقيات السياسية، بالإضافة إلى الاحتلال الذي منع لقاء الكتّاب والفنانين من الضفة وغزة، وثقل الممارسات الاحتلالية التي سيطرت على تفصيلات الحياة اليومية للناس.

على أن تايه عاد فتحدث عن ازدياد اهتمام الشباب باكتساب الثقافة وتوجههم نحو الفنون والآداب، وعن نشاط حركة الفن التشكيلي، وإقامة المعارض، والاهتمام بالأفلام التسجيلية والوثائقية، على الرغم من افتقار السلطة الوطنية ومؤسساتها الثقافية الحكومية إلى خطط واستراتيجيات واضحة في دعم وتوجيه وتنمية العمل الثقافي والفني.

ولاحظ رجب أبو سرية تراجع ارتباط الحالة الثقافية بأهم ميزة للثقافة الفلسطينية، وهي المقاومة، وتساءل: هل كان لقيام السلطة الوطنية شأن في ذلك، من حيث أنها قامت بتحويل كثيرين من المبدعين الذين كانوا يصدرون على نفقتهم الخاصة عشرات الكتب إلى موظفين يتلهون بكل ما يحيط بالوظيفة العامة من تفصيلات تقف في طريق الإبداع؟

وفي إجابته عن هذا التساؤل خلص إلى القول إن إقامة السلطة الوطنية أفقدت الكتّاب والفنانين زمام المبادرة، فركنوا إلى ما يمكن أن تقوم به المؤسسة الرسمية في الوقت الذي كان همّ السلطة تعزيز مظاهر قوتها وسطوتها، وصب اهتمامها على إقامة الأجهزة الأمنية وجحافل قوات الشرطة بينما كانت الثقافة آخر اهتماماتها.

وتساءل عبد القادر فارس: هل تدرك الثقافة الوطنية أنها تتحرك في حيز ضيق، وأنها ثقافة هامش لا تستطيع أن تقوم بدور خارج حدود بلدنا، وأنها كقيمة أخلاقية، إنسانية، شجاعة، لم تتأصل بالشكل الكافي في حياتنا اليومية وحياة مبدعينا؟ وتابع: نحن منذ وقت طويل نتساءل عن دور النخب في مصائر الشعوب العربية، وعن أسباب اتساع الفجوة بين المجتمع والمثقفين. وما حدث هو أن المثقف انضوى تحت راية التوجهات السياسية، مرةً بفعل ضغط الإغراء والترهيب، ومرةً بفعل ضغط الحاجة المادية، بحيث جند أفكاره لتسويق أفكار الجهات التي تموله أو تكف عنه أذى الأجهزة القمعية. ■

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar/mdf